أساليب تدريس النحو العربي في المدارس الإيرانية

Dr. Farzaneh Rahmanian
Department of Arabic language and literature, Ramhormoz Brah, Islamic Azad University, Ramhormoz, Iran

الملخص

صنف العلماء العلوم المتعلقة باللغة كالنحو ضمن العلوم الإنسانية والنحو هو العلم الذي يختص بقواعد بناء الكلمات ويعدّ تعليم النحو ضرورة لا غنى عنها للمتعلمين الذين يدرسون اللغة العربية من غير الناطقين بها. إن طبيعة علم النحو وأساليبه ومافيه من اتجاهات علمية تعمل على تنمية القدرات العقلية ولهذا لابد من إعداد المحتوى النحوي الذي يتناسب وحاجات الدارسين، ومن المقومات الأساسية لنجاح أي برنامج دراسي أن يقوم على أساس علمي تجريبي ويقدم أسلوباً تفاعلياً في التعليم ويوظف الخلفيات الثقافية والفكرية للمتعلم. والحقيقة أن الكتاب الذي يصلح لتعليم اللغة العربية في ايران يختلف عن غيره من حيث الاغراض والابنية والوسائل.
ويهدف هذا البحث أولا إلى بيان خصائص علم النحو ثم بيان أساليب وطرائق تعليم القواعد النحوية في المدارس الايرانية ومن ثم سنركز على كيفية توظيف النصوص القرآنية في المناهج المدرسية باعتبارها أفضل مصادر دراسة اللغة العربية وأقربها إلى اتجاهات المتعلمين التي تعزز احتمال إفادتهم منها في التحصيل أكثر وتؤدي إلى استيعاب القواعد النحويه وهي تجمع موضوعات عدة في مادة واحدة (نحو _ صرف _ بلاغة_ تفسير ...) ، وبما أن تعلم القرآن بقرائته وحفظه هو أساس الثروة اللغوية التي يحصل عليها دارس الفصحى من الناطقين بغيرها لذا يعتبر القرآن مصدر موثوق به وبيئة لغوية صالحة ومناسبة لتعليم اللغة العربية وخاصة القواعد النحوية التي نحن بصددها في هذه الورقة .

المقدمة

لم يجد صحابة الرسول(ص)صعوبة في تلاوة القرآن الكريم حيث أن القرآن نزل باللغة العربية، ولم يكن العرب في ذلك العهد بحاجة الى دراسة تجويد الحروف وأحكامها ودراسة الإعراب إلا بعد أن اختلطوا بغيرهم من العجم وظهرت بوادر دخول الخلل الى اللغة العربية وكان السبب عدم إتقانهم نطق العربية، لذا ظهرت الحاجة الى تدوين علوم اللغة فكان تدوين علم النحو يتبعه علم التجويد.
ولما كانت اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم التي نزل بها كان تعلم القرآن مرهون بتعلم اللغة العربية، واتقان مهارات تلاوته مبني على اتقان مهارات اللغة العربية، ولهذا جاهد المسلمون أينما كانوا في هذا المسير .
اللغة وسيلة تواصل غايتها التعبيروالتوصيل وتعلم اللغة اكتساب ومهارة تجود بطول الممارسة وتأتي أهمية القواعد في أي لغة من أهمية اللغة ذاتها فالقواعد الصرفية أو النحوية في اللغة العربية مهمة

لأنها الأساس لضبطها ثم هي وسيلة لتقويم اللسان من الخطأ واللحن وعن طريقها يمكن بناء الجملة السليمة ومن ثم إتقان باقي مهارات اللغة.
ومما لا شك فيه أن مادة النحو تحظى بأهمية كبيرة في اللغة ولا يكفي الإحتفاء بها عن طريق تعليم قواعد وقوانين أو بعض المصطلحات التي تصنع منها علماً جافاً ينفر منه المتعلمون بل لابد من إيجاد التفاعل بين المتعلم والمعلم وبيئته بالإضافة إلى كفايات تمكنه من التعبير عما يجيش في نفسه وربط المادة بالواقع حتى يكون التأثير ملموسا وهذا ما يعبر عنه بتوظيف النحوأي استخدامه في الأداء اللغوي من حيث النطق والتعبير والكتابة والقراءة وتطبيقه في تلبية مطالب الحياة حتى لا يكون مجرد حفظ الحركات والقوانين.
لعل لما قاله قائد الثورة الاسلامية في ايران عام 1979 عن اللغة العربية:" لا تقولوا ليست اللغة العربية لغتنا اللغة العربية لغة الاسلام والاسلام للجميع " الدافع الأساسي لوضع المادة السادسة عشرة ضمن الدستوروالتي تنص على : بما أن لغة القرآن والعلوم والمعارف الاسلامية هي العربية وأن الأدب الفارسي ممتزج معها بشكل كامل لذا يجب تدريس هذه اللغة بعد المرحلة الإبتدائية حتي نهاية المرحلة الثانوية في جميع الصفوف الدراسية والحقول. وهذا خير دليل على ما للغة القرآن من أهمية بالغة في ايران، لا شك أن إلزام تعليم اللغة العربية في مادة دستورية جعل هذه اللغة تحظي باهتمام غير مسبوق تعليماً وتعلّماً، وإحداث تغييرات جذرية ونوعية طيلة المراحل الدراسية لطلاب المتوسطة والثانوية وطلاب التخصصات الأكاديمية في فروع العلوم الإنسانية داخل الجامعات.
إن الأهداف لتعلم اللغة العربية في ايران متعددة وأهمها أنها مفتاح فهم العلوم القرآنية والإسلامية وسبيل الإطلاع على التراث القديم، وعن طريقها يتم التواصل بين الأقطار العربية والجمهورية الإسلامية الايرانية، علاوة على تأهيل خبراء لغويين يؤدون أدوارهم بأحسن وجه في وزارة التربية والتعليم ووزارة الخارجية والثقافة والإرشاد والمدارس الدينية والمراكز اللغوية وغيرها.

خصائص علم النحو

النحو هو العلم الذي يختص بقواعد بناء الكلمات ومكانة الكلمات في التراكيب والأساليب المعنوية وله طبيعة تميزه عن غيره من فروع المعرفة، وتتعلق بأهدافه وخصائصه وأساليبه ونتائجه وما فيه من معلومات واتجاهات علمية، ولنبتدئ بتعريف علم النحو عند النحويين:
قال ابن جني:"هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أصل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شذ بعضهم عنها ردّ به إليها" (ابن جني ، الخصائص1: 34)
قال ابن السراج:"هو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب" (ابن السراج، الأصول في النحو،1:35)
قال العكبري:"هو علم مستنبط بالقياس والاستقراء من كلام العرب " (العكبري، اللباب في علل البناء والاعراب 1:40)
هذا بالنسبة لتعريف علم النحو أما عن خصائص هذا العلم فنتطرق للآتي:
1- التنظيم والتقسيم:
فقد عرض النحويون القواعد اللغوية بطريقة منظمة مرتبة، فلوأخذنا مثلا (الأصول في النحو)لابن السراج لوجدنا أنه رتب أبواب الكتاب على النحو الآتي: مرفوعات الأسماء فالمنصوبات، فالمجرورات، ثم العوامل في الأفعال، ثم انتقل الى مسائل التصريف .
اما المفصل للزمخشري فقد قسم كتابه الى أربعة اقسام: الأسماء والأفعال والحروف والمشترك، ثم قسم كل واحد منها تقسيما داخلياً بما تقتضيه طبيعته .

2- التعليل :
حرص النحويون على تعليل الظواهر اللغوية المختلفة، وعنوا بذلك عناية بالغة بل ألفوا في ذلك مصنفات عدة منها (الإيضاح في علل النحو) للزجاجي، و (علل النحو)للوراق وغيرهما .
3- التراكمية:
علم النحو لم يبدأ كما هو عليه في عصرنا الحالي، وإنما تدرج تدرجاً واقعياً، فقد كان في عهد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عبارة عن كلمات يسيرة في تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف، ثم ألّف كتابان مختصران في النحو لعيسى بن يعمر الثقفي هما: (الإكمال) و(الجامع)، ثم وضع كتاب سيبويه وهو أول كتاب مكتمل في النحو، ثم أتت محاولات لترتيب النحو بطريقة تعليمية ميسرة فأُلّف (الأصول) لابن السراج ثم (الجمل) للزجاجي، ثم (الإيضاح) لأبي علي الفارسي، ثم (المفصل) للزمخشري و... ، ثم ظهرت كتب جامعة في النحو ككتاب (الكافي في شرح الهادي) للزنجاني، ثم أُلّفت كتب في الظواهر النحوية المختلفة ككتاب (مغني اللبيب) لابن هشام وغير ذلك. وفي عصرنا الحالي دُرست بصورة تخصصية الكثيرمن الظواهر النحوية.
4- الشمولية واليقين:
الظواهر النحوية شاملة لجميع عناصر الظواهر اللغوية دون استثناء، فالفاعل مرفوع دائما، والمفعول به منصوب دائما، وهكذا قوانين جميع الموضوعات النحوية لها أحكام وعندما نجد لمسألة نحوية حكمين نحويين أو أكثر فإن ذلك لا يتعلق بنقض القاعدة وإنما يتعلق بالفهم لسياق الكلام فالأحكام تتعدد باختلاف المعاني من دون تضارب بينها.
5- الدقة :
الدقة تُعطي فهماً أفضل لقوانين العلم وقال أحد المستشرقين: "إن علم النحو أثر من آثار العقل العربي، لما فيه من دقة في الملاحظة ونشاط في جمع ما تفرق، وهو لهذا يحمل المتأمل فيه على تقديره، ويحقّ للعرب أن يفخروا به ".(أحمد مختار عمر،1985م:160)
6- النحو نشاط إنساني:
النحو نشاط إنساني يخص الإنسان، فقواعده ونظرياته ومبادئه معتمدة اعتماداً تاماً على لغة جماعة من الناس، تم استقراؤها ودراستها واستنباط أحكام خاصة بها حتى أُسس علم النحو، وتشكلت أحكامه ومبادئه بفضل دراسة العلماء له، و انتشر للآخرين متجاوزاً الحدود الجغرافية.
7- النحو له أدوات خاصة :
ولقد صمم العلماء علم النحو بطرقهم الخاصة معتمدين على أن المحور هو مفردات اللغة وتراكيبها، وقد بذل النحويون في جمعها جهداً عظيماً، عن طريق السماع والمشافهة والذهاب إلى مواطن الفصاحة كالبوادي ليرووا كلام الذين لم يخالطوا العجم، ووضعوا لذلك معياراً زمانياً ومكانياً، ثم استنبطوا الأحكام النحوية المختلفة من هذه المادة العلمية بمعايير علمية موضوعية، وبأدوات عديدة، بيّنها النحويون في علم مستقل هو علم أصول النحو واعتمدوا على أسس عقلية ومنطقية وأُلّفت فيه الكتب الكثيرة قديماً وحديثاً.
8- دلالة الحركات على المعاني:
من خصائص اللغة العربية أنه يُستدل على معانيها بغير الحروف أو الكلمات، وهي الحركات، فالحركة تُعيّن الفاعل من المفعول، وتُعيّن المبتدأ من الخبر والتمييز والحال والمضاف وغيرها.
9- النحو له خاصية التوليد أو التحويل:
النحو يعتبر نشاط ذهني يدفع المتعلم إلى ترجمة ما تعلمه في مواقف جديدة ومن تبرز خاصيته التوليدية لأن المتعلم قادر على إنشاء كمّ غير محدود من العبارات والجمل التي لم يسمعها من قبل وهي مبنية في أساسها على أنماط وقوالب محدودة.وهكذا تنمو لديه القدرة اللغوية.

أهداف تدريس النحو:

إن القواعد النحوية من فروع اللغة العربية المهمة لأنها متصلة ببناء الجملة السليمة، وهي وسيلة لإتقان مهارات اللغة ففهم اللغة يحتاج إلى فهم قواعدها التي تضبطها لتؤدي إلى الوصول إلى المعنى المقصود.

إن شغفنا باللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم لا يُعفينا من مسؤوليتنا للعمل لتيسير تعلّمها وفق حاجات الطلاب المنهجية الوظيفية لغير الناطقين بها.

النحو وسيلة لاستخدام اللغة بطلاقة وإذا قلنا بأن النحو وسيلة لا غاية، فكيف نريد أن ندرس هذه الوسيلة حتي لا تكون غاية؟ فتدريس النحو عبر المهارات اللغوية الأربع كالآتي:

التدريب على مهارة الكتابة والمهارة النحوية – التدريب على مهارة القراءة والمهارة النحوية – التدريب على مهارة الكلام والمهارة النحوية – التدريب على مهارة الاستماع والمهارة النحوية ترفع بتدريج من إدراك الطالب لغوياً لأهداف اللغة. وإنما وضع النحولتقويم اليد عند الكتابة وتقويم اللسان عند الكلام فلا نتعلم النحو من أجل النحو ذاته. إنما نتعلمه ليكون أداة في تقويم الكلام والكتابة والقراءة. علم النحو من أكثر فروع اللغة العربية اعتماداً على التفكير ومن هذا العلم ينطلق المتعلمون إلى الفروع الأخرى وعن طريقه يتوصلون إلى القراءة السليمة والكتابة الصحيحة.

والذي نراه أن علم الصرف أوالنحو لا يقل عن علم الرياضيات في تشغيل الذهن فمثلاً لو نظرنا إلى استاذ النحو وهو يحلل الكلمات إلى حروف وأسماء وأفعال ثم يُعرب كل واحد منها بحسب ما يقتضيه السياق والمعنى ثم يعطي إعراباً للجمل أيضاً فنشعر حقاً أننا في محاضرة رياضية وكأننا نحل التمارين الرياضية وبما أن علم النحو يعتمد على المنطق والإستقراء والقياس فهو يتفق والرياضيات التي تتميز بالإستدلال وتعتمد على المنطق والمقدمات والدلالات الصحيحة لذا العلمين يقومان بتحفيز التفكير فكما يتعلم الطالب في علم الرياضيات المعادلات ثم يطبقها على أعداد وأرقام أخرى ففي علم النحو يتعلم الطالب القوالب والقواعد فيتمكن من تطبيق القواعد الثابتة على الأمثلة المتغيرة أي تنمى لديه القدرة اللغوية وهي عبارة عن:" إمكان الفرد على التعامل بالألفاظ واستخدامها بكفاءة وطلاقة للتعبير عن المعاني والأفكار التي يريد أن يوصلها إلى غيره منطوقة أو مكتوبة(فرج عبدالقادر،1993م:630).

وأهم أهداف تدريس النحو هي:

- عصمة اللسان العربي من اللحن حرصا على سلامة اللغة العربية.
- فهم الدلالات اللغوية أحيانا واستيعاب مضامينها الفكرية.
- إدراك موقع النحو من النظام اللغوي العام.
- تدريب التلاميذ على ضبط لغتهم بشكل يتلاءم مع تدرج مستواهم العقلي واللغوي في السلّم التعليمي.
- القدرة على اكتشاف الخطأ اللغوي عند مشاهدته أو سماعه.
- تنمية قدرات الطلاب على التفكير السليم بما يتحقق لدراستهم من التحليل والتركيب، لأن تعليم القواعد عبارة عن نشاط ذهني يعتمد على قدرة الفرد الإبتكارية.

اللغة العربية ومعلمها في المدارس الايرانية

في ايران بالرغم من الأهمية المتزايدة التي يواجهها تعلم اللغة العربية إلا أن هذا الميدان ما يزال يفتقر المادة والمنهج التعليمي المناسب. ومن المقومات الأساسية لنجاح أي برنامج دراسي أن يقوم

على أساس علمي تجريبي ويقدم أسلوبا تفاعلياً في التعليم ويوظف الخلفيات الثقافية والفكرية للمتعلم ويستغل الغرض الديني الذي يُعدّ من الدوافع المهمة لتعليم اللغة العربية في ايران .
إن تعليم اللغة العربية للايرانيين ينبغي أن يقوم على أساس التحليل التقابلي بين اللغة العربية والفارسية كما يجب أن يُؤخذ في الإعتبار الخلفيات الثقافية والفكرية للمتعلمين في تعيين المادة التعليمية ، والنتيجة أن الكتاب الذي يصلح للتلاميذ الايرانيين يختلف من حيث الغرض والبناء والوسيلة عن الدول الأخرى ، لذا تقوم لجان خاصة ومتخصصون بتأليف وإعداد كتب مادة اللغة العربية في مكتب المناهج لوزارة التربية والتعليم الإيرانية باختيار المادة أو المقررالدراسي المتناسب والهدف العام (اي الهدف الديني) ولهذا تعليم لغة القرآن في ايران تحمل المتخصصين أن يضعوا قوالب خاصة بهم .
اما معلم اللغة العربية فهو يستخدم المنهج التقليدي ولا يخرج منه، بسبب ضيق الوقت ومنهج الكتاب وبرمجة الوزارة فهو يشرح ويترجم. ومن المعلمين من تخرّج من مراكز إعداد المعلمين، لذا فهو أكفأ من غيره في مجال الأمور التربوية والفنون التدريسية، ومنهم من تخرّج من الجامعات وتوظف في الوزارة بحثاً عن معاشه، لذا المعلمون يختلفون في طرائق تدريسهم وشرحهم للدرس وإلمامهم بالمهارات التعليمية، فالنتيجة تنعكس على التلاميذ.
إن عدم استعمال المنهج الصحيح أو الفنون المناسبة يؤدي الى ظهور مشاكل مثل الفشل في تعلم اللغة الأجنبية أو النفور منها.

طرائق تدريس القواعد النحوية في المدارس الإيرانية

إن طرق تدريس اللغات الأجنبية متعددة، وليس المطلوب هو اعتماد طريقة بعينها وعلى حدة، ويمكن الجمع بين ايجابيات مختلف الطرق، لكن الملاحظ في تدريس اللغة العربية في ايران هو أنه طريقة التعليم من بداية تعلم اللغة العربية حتى دخول الجامعة ترتكزعلى طريقة تقليدية واحدة هي (الترجمة- القواعد).
تقوم هذه الطريقة على تعلم اللغة من خلال تعريف الطالب قواعد النحو والإشتقاق وحفظها للقياس عليها بالطريقة القياسية التي تقدم القاعدة والأمثلة المعززة حتى يتمكن الطالب من معرفة القاعدة وتطبيقها في جمل ونصوص لغوية جديدة بحيث تقدم هذه الجمل بالمقابلات الترجمية من اللغة الأم إلى اللغة العربية، وتأسيسا على ذلك فإن هذه الطريقة تقوم على مهارة الترجمة(محمودكامل الناقة ورشدي أحمد طعيمة 103:2003).
إن الطريقة المتبعة في تدريس اللغة العربية في المدارس الايرانية تبتني على طريقة (الترجمة – القواعد) كما ذكرنا سابقا، وهي من أقدم الطرق في تعليم اللغات حيث كانت متبعة قبل ثلاثة قرون أو أكثر في تعليم اللغات في العالم الغربي، وهي من أقصر الطرق وأسهلها وأقلها كلفة للطالب من حيث الوقت، ففي البلدان التي لا يمكن للطالب أن يجد البيئة العربية حوله، ولا يمكن أن يُخصص للغة العربية أكثر من حصتين في الأسبوع، تكون هذه الطريقة هي الأفضل، والهدف منها هي حفظ قواعد اللغة وفهمها، وهي تمكّن الدارس غير الناطق بالعربية من الإتصال المباشر بمصادر الثقافة العربية وفهم نصوصها الأدبية، وتزوّده بكمّ وفير من المفردات والتراكيب اللغوية، ويقتصر تدريس اللغة بهذه الطريقة على مجهود المعلم نفسه.
ورغم اعتبار هذه الطريقة سهلة التطبيق، إلا أن لها معايبها ومن ضمنها أنه لم يكن بمقدور الطالب التحدث عن مضامين النص رغم قضاء ساعات طويلة في ترجمتها، وتعتمد هذه الطريقة على شرح قواعدالصرف والنحوالعربية بالفارسية، ويعتقد الكثير أن تعلم اللغة العربية يعني تعلم النحو

والإعراب، في حين تعلم العربية لا يكمل إلا من خلال النصوص والأدب وتاريخه والبلاغة و...قراءةً ومنهجاً وبحثاً واستقصاءً.
طريقة التدريس المذكورة في ايران لم يحصل لها أي تعديل، وقياساً على هذا فالطالب يكتسب عن اللغة العربية في مراحل دراسته السبعة مجموعة من قواعد الصرف والنحو، وبصورة أدق يعتبر النحو هو المقصود من دراسة اللغة العربية، وفي الحقيقة يتعلم الطالب النحو من أجل النحو ذاته ولا يستفيد من تعلم النحو بعد ذلك.إن هدف تدريس النحوليس فقط تحفيظ الطالب مجموعة من القواعد المجردة أو التراكيب المنفردة، وإنما مساعدته على فهم التعبير الجيد وتذوقه وتدربه على أن ينتجه صحيحاً بعد ذلك،وما فائدة النحو إذا لم يساعد الطالب على قراءة النص فيفهمه، أو التعبير عن شيء فيجيد التعبير عنه(رشدي أحمد طعيمة1989:20).
قد يتعلم المتعلم بعض قواعد النحو والصرف ولكنه عاجز عن استخدام هذه المعطيات في أثناء التعبير الشفوي أو الكتابي فأين العلل؟ إن الوصول للهدف لا يتيسر من خلال إستظهار القواعد والمصطلحات دون الإنتفاع بها، بل يجب تغيير طرائق التدريس.
إن عملية تعليم اللغة وفهم نظامها لا يتأتى إلا عن طريق عقلٍ واعٍ وذهنٍ صافٍ يُقبل التلميذ من خلالها على تعلم قواعد هذه اللغة حتى يمكنه السيطرة عليها بكل مستوياتها(طعيمة: 399/1)
إذن لا بد لعلم النحو من أستاذ خبير في مادته، متفنّن في درسه، صبور على طلابه، ولابد أن يكون معلم مواد التفكير كالنحو، من ذوي المهارات التعليمية العالية، وأن يكون ذكيّاً لمّاحاً، ليستطيع توصيل معلوماته إلى طالبه بشكل سليم، والكثير من المعلمين في ايران متفوقون في تدريس القواعد العربية لأن النحو كالرياضيات، إلا أن الضعف قابل للذكر في المحادثة لعدم ممارستها. فالطلاب الذين يحبون التفكير الإبداعي ولديهم مهارات بالتأكيد سوف لا يجدون صعوبه في فهم القواعد النحوية بشرط مهارة المعلم في هذا المجال وحسن استثماره لهذه القدرات.

حفظ القرآن ودوره في العملية التعليمية في ايران

لقد ترك القرآن أثراً على اللغة العربية بصفة عامة، ولا شك أن للقرآن الكريم وحفظه وتلاوته وتجويده أثراً كبيراً على تنمية المهارات الأساسية في تعلم اللغة العربية لدي متعلميها سواء كانوا من أبنائها أو من غير أبنائها،على مستوى الإستماع أو القراءة أو الكتابة أو النطق، وهذا ما أثبتته كثير من الدراسات الإجرائية التطبيقية المعاصرة.
ويُعدّ الحفظ عاملاً مهماً في اكتساب اللغة فمثلاً إذا عُدنا إلى الماضي ونظرنا إلى نظام التعليم اللغوي المبكر على غرار ما كان في الكتاتيب نستخلص ذلك.
وحافظ القرآن في ايران على الرغم من عدم إلمامه باللغة العربية، يدرك الفروق الصوتية بين لغته الأم والعربية عبر تلاوته وقراءته وترديده لآيات القرآن، ويكتسب بواسطة حفظه للقرآن عدداً كبيرامن مفردات اللغة وتراكيبها المختلفة، والإحتفاظ بها في ذاكرته ليستفيد منها في مسار تعلم اللغة العربية. إن أول مهارة يتعامل معها متعلم اللغة هي مهارة الإستماع، تكونت لديه جيداً عن طريق التكرار لأصوات القرآن وألفاظه وآياته ويكون سهلاً لديه، وبالنسبة لمهارة المحادثة فإن حافظ القرآن يملك المقومات الأولى لهذه المهارة، ولكن في ايران لم يتم المران عليها ولن تُستثمر جيداً لأن المعلمين ليسوا من أبناء اللغة بل من الناطقين بغيرها، وأكثرهم ليس لديهم المهارات الكافية في هذا الجانب،وإذا نظرنا إلى مهارة القراءة فعن طريقها تتم عملية المذاكرة والتحصيل الدراسي، فالحافظ لكتاب الله يدرك شيئا من تراكيب الجمل العربية، ويستطيع توظيفها في تعلمه للغة، ومهارة الكتابة لها أهميتها ضمن المهارات اللغوية، فهي وسيلة لاتصال الفرد بغيره، فالحافظ للقرآن الكريم تعودت عيناه على النظر في رسم المصحف، والتعرف على اصطلاحات الضبط والحركات الإعرابية، وهذا

كله يعينه على تعلم اللغة العربية. ليس كل حافظ للقرآن الكريم يستطيع التحدث باللغة العربية أو يفهم المعاني والجمل والعبارات باللغة العربية ولكنه فرد قد تواجدت لديه مهارات تعينه على اكتساب اللغة بالمقارنة مع غيره، ومن هنا يتبين لنا أهمية اعتماد النص القرآني في المناهج التعليمية لأنه المصدر الاول في دراسة اللغة لما اشتمل عليه من أقيسة جاهزة ما زالت المعين الذي ينهل منه أهل العلم. وقد اعترف بهذه الخصائص اللغوية في القرآن الكريم علماء اللغة المحدثون الذين يتتبعون الظاهرة اللغوية ويشترطون في المعطيات اللغوية أن تكون مادة بحتة فيركزون على وصف الأصوات ومنها إلى بناء النصوص(أنظردي سوسير، 1985م: 48-49)

توظيف النصوص القرآنية في تعلم القواعد النحوية في المناهج المدرسية

من نماذج النصوص المهمة في تدريس قواعد اللغة ما يمثلها في أرقى صورها ويتم ذلك بالإعتماد على القرآن الكريم فهو المصدر الأول في بناء المجتمع اللغوي لأنه يمثل المستوى الأعلى للغة ولا يمكن أن يتطرق إليه شك أو احتمال خطأ(الأفغاني، 1987م:28). ومن حيث أن الكتب المدرسية تهدف إلى تلبية حاجات الدارسين من خلال تزويدهم بلغة عربية فصيحة نلاحظ أن نصوصها مستقاة من القرآن الكريم حتى يتشرب المتلقي أصولها من منابعها العذبة، ثم هناك نصوص أدبية متنوعة الموضوعات للربط والتواصل بين هؤلاء الدارسين وبين مختلف الجوانب المعرفية للغة الهدف. فالنصوص المختارة نصوص سردية تتفاوت موضوعاتها بين إسلامية وحضارية وأدبية ونصح وإرشاد، ولكن الطابع الديني يغلب عليها بصورة عامة، فمثلا هناك دروس منتقاة من النصوص القرآنية: سيدة آيات القرآن- قبسات من الإعجاز العلمي للقرآن- الأدب في الخطاب – الأمثال والحكم – فيه شفاء للناس – تبارك الله أحسن الخالقين – كتاب الحياة الخ.

هذه الدروس على اختلاف موضوعاتها تقدم محتوى لغوي يتضمن قواعد اللغة العربية من خلال تراكيب صرفية ونحوية بسيطة تهدف إلى تعزيز مهاراتهم وتنميتها مثل: التعرف على الكلمة وأنواعها، وطرق تركيبها وتحليلها وكذلك بالنسبة للجملة.

إن المحتوى اللغوي واحد من أهم محاور تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، لذا ارتبطت في أهدافها ارتباطاً وثيقاً بالدور الثقافي والفكري الذي تلعبه النصوص في تلبية حاجة الدارسين خاصة النصوص القرآنية والدينية، وذلك عن طريق توظيف الأبنية والتراكيب الصرفية والنحوية، والتمارين والمهارات لتدريب الدارسين على استخدام اللغة العربية في مواقف كلامية متنوعة،وإكسابهم أساليب للتعبير الكتابي أو الشفاهي.

ويمكننا هنا ذكر نماذج - وليست كل العينات - للنصوص والجمل القرآنية الواردة في شرح الدرس ثم في التمارين التطبيقية على القواعد النحوية المدروسة:

1- درس الفاعل: من الآيات الواردة لشرح الدرس (وخَلَقَ اللهُ السماواتِ والأرْضَ بالحَقِّ)و(يَخْرُجُ مِنْهُما اللؤلؤُ و...) وجاءت تمارين تطلب أنواع الفاعل مثل:(...أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظلماتِ إلى النورِ)- (واذْكُروانِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُم...).

2- درس المفعول به: من الآيات الواردة لشرح الدرس(ويَضْربُ اللهُ الأمْثالَ)- (واسْأَلوا اللهَ) –(قد أنزلَ اللهُ إليْكُم ذِكْراً) وجاء تمرين يطلب تعيين إعراب الكلمة (أكتُبْ لَنا في هذه الدنْيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً).

3- درس المبتدأ والخبر:من الآيات الواردة لشرح الدرس(اللهُ الصمَدُ)- (واللهُ يشْهَدُ)-(الحَمْدُ للهِ)-(واللهُ على كُلِّ شيءٍ شَهيدٌ)هناك تمارين تطلب الإعراب والتحليل الصرفى(اللهُ يَعْلَمُ وأنتُم لا تَعْلَمون).

4- درس الأفعال الناقصة:من الآيات الواردة لشرح الدرس(لقدْ كانَ لَكُم في رَسولِ اللهِ أُسْوةٌ حَسَنةٌ)- (وأَخَذَتِ الذين ظَلَموا الصَّيْحَةُ فأَصبَحوا في دِيارِهِم جاثِمين)-(وأَنْجَيْنا الذين آمَنوا وكانوا يَتّقون).

ومن التمارين في هذا الدرس ما يطلب الترجمة و تعيين اسم الأفعال الناقصة وخبرها من آيات قرآنية كما ذكرنا سالفاً(وكانَ اللهُ بما يَعمَلون مُحِيطاً) الخ.
5- درس النواسخ: من الآيات الواردة في توضيح الدرس(إنَّ اللهَ غَفورٌ رَحِيمٌ)-(ذلكَ الدينُ القيّمُ ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يَعلمونَ)-(لعلَّ الساعةَ قريب)-(إنّا فَتَحْنا لكَ فتحاً مبيناً).
ومن الآيات المذكورة في تمارين تطلب من الدارس تعيين اسم وخبر الحروف المشبهة بالفعل(إنَّ اللهَ يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ)-(يَضْرِبُ اللهُ الأمثالَ للناسِ لعلّهُم يتَذكَّرون)- (أَلَمْ تَعْلَمْ أنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ).
6- درس علامات الإعراب الفرعية:من الآيات الواردة في شرح الدرس(وزيّنا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ)- (إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحْسِنينَ).
وقد جيء بآيات في تمارين تطلب تعيين الكلمات التي لها علامات فرعية ثم الترجمة(قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنون الذين هُمْ في صَلاتِهِم خاشِعون)-(إنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوابِين)-(لَقَدْ كانَ في يُوسُفَ وإخْوَتِهِ آياتٌ للسّائِلين)،أو تمرين يطلب الإعراب والتحليل الصرفي(ولا تُبْطِلوا صَدقاتِكم بالمَنّ...).
7- درس الإعراب المحلي والتقديري: من الآيات الواردة في شرح الدرس(والضُّحَى...)-(ذلكَ هُدَى اللهِ)-(إنَّا زَيّنا السّماءَ الدُّنْيا بِزِينَة الكَواكِبِ).
هناك تمرين يطلب انتخاب الإعراب المناسب للاسم المقصور مما جاء في خانات أمام الجملات الواردة مثل هذه الآية(هُو الذي أَرْسَلَ رَسولَهُ بالهُدى) أو تمرين يطلب الإعراب المحلي لما تحته خط كما في الآية(رَبِّ اجْعَلْ هذا البَلَدَ آمِناً).
8- إعراب الفعل المضارع: من الآيات الواردة لتوضيح الدرس(فاصْبِروا حَتّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنا)-(لاتَحْزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنا)-(لِيُنفقْ ذُو سِعَةٍ مِنْ سِعَتِهِ)-(ماتَفْعَلوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْه اللهُ).
تمارين متنوعةعلى الدرس تحوي آيات قرآنية منها تمرين فيه جدول وخانات فارغة تحت عناوين : مضارع مرفوع – مضارع منصوب – مضارع مجزوم وتطلب من الدارس أن يملأها بالكلمة المناسبة من الآيات والجمل الواردة في التمرين ونذكر من الآيات على سبيل المثال(إنَّ اللهَ لا يُغيّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّى يُغيّروا ما بِأَنْفُسِهم)-(قالت الأعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنوا ولكن قُولوا أَسْلَمْنا)-(لا تَقْنَطوا من رَحْمَةِ اللهِ)- (إنْ تُقْرِضوا الله قَرْضاً حَسَناً يُضاعِفْهُ لَكُم).وتمرين يطلب تصحيح الأخطاء مما جاء في الإعراب والتحليل الصرفي للآية (إنْ تَنْصروا اللهَ يَنْصُرْكُم).
كما أنه توجد تدريبات تساعد التلاميذ على تطبيق القواعد في النصوص القرآنية مثل: اقرأ سورة "الإنسان" وابحث فيها عن الحال والتمييز- اعرب سورة "الإنشراح" – اقرأ سورة "المنافقون" وبيّن اعراب الأفعال التي جاءت فيها وهكذا. ونلاحظ أن مثل هذه التدريبات تركزعلى نشاط الطالب وتنمي لديه مهارات التعلم الذاتي عن طريق الواجب البيتي ومطالعة القرآن الكريم هذا الكتاب المقدس والمتوفر في متناول يده،مع الأخذ في الإعتبار أن الطالب تتوفر لديه بسهولة ترجمة النصوص القرآنية.
إن التمارين متنوعة المقاصد مثل: الفهم والتركيب، والتحليل، والحركات، والقواعد، والكتابة، والتعبير، والدروس منتقاة بعناية شديدة بحيث تتفق في رسالتها مع أهداف عقائدية وأغراض خاصة تتصل بالمجتمع الايراني ودوره في صنع الحضارة الإسلامية كما أشرنا فيما سلف.
وإذا أردنا أن نأتي بكل الدروس وبالتالي جميع الموضوعات النحوية والتمارين هنا فهذا خارج عن نطاق مقالنا، ولكن قصدنا أن نبين ما للآيات القرآنية من تأثير في أذهان الدارسين، لأنهم على ارتباط وثيق بها في عباداتهم اليومية وأدعيتهم وأذكارهم، وهذا ما خططت لها السياسات التربوية من قبل وزارة التربية والتعليم، حيث أن هناك توصيات من المختصين التربويين ومراسيم إدارية وزارية تطلب من المدرسين الإستفادة من الآيات القرآنية كأمثلة في توضيح الدرس أو في تطبيقاته، فالطالب

لا يمكن أن ينسى الآية(إياك نعبد وإياك نستعين) كمثال على المفعول به المقدم والضمير النصبي المنفصل والسبب البلاغي لتقديم المفعول به لأنه يرددها في صلاته اليومية وترسخ في ذاكرته وهكذا نستطيع أن نقيس على هذا المنوال.
ولا بد أن نشير إلى أن الكتب المدرسية لا تكتفي فقط بالآيات القرآنية في الشرح والتمارين أو في نص الدرس نفسه، بل هناك الشعر والنثر وتاريخ الأدب، لأنه لابد من اعتماد المرجعيات النصية الأخرى في العملية التعليمية إلى جانب النصوص القرآنية.

النتائج

إن تعليم التراكيب النحوية هو عبارة عن تعليم قوالب، وأفضل طريقة للتمكن من القواعد هي عملية التدريب المستمر، والمران على تلك القوالب مع التغيير في القوالب لإثارة دافعية المتعلمين إلى التعلم.وربط القوالب بمضمون يتعلق بالمتعلم وربطها بنص ذات قيمة عند المتعلم تعمل على ترسيخ ما تعلمه وهذا مايحدث في توظيف الكلمات والجمل القرآنية لتطبيق القواعد النحوية الشائعة.
- الطريقة المعتمدة في تدريس النحو في ايران، تقدّم القاعدة النحوية، ثم الشواهد والأمثلة لتوضيحها بعد ذلك تعززها في أذهان التلاميذ، بتطبيقاتها على حالات مماثلة من خلال نصوص مفيدة، تتوافر فيها مجموعة من شواهد الموضوع، وأيضاً تعتمد على التعليم التقابلي بين اللغة الأم والهدف.
- قد وضع النحو لتقويم الكتابة والكلام والقراءة اذن لا داعي لاستظهار قواعده، ومن اللازم أن يتبع الأسلوب المباشر لتعلم العربية حتى يقف الطلاب على تطبيق تلك القواعد.
- إن التدريبات اللغوية باختلاف أنواعها تهدف إلى تثبيت المهارات التي تعلمها الطالب وهي وسيلة فعالة جدا في تقدم المتعلمين.
- إن النص القرآني يعرّف الطلاب بمعاني مفردات النصوص القرآنية التي يحفظونها ودلالاتها ويرفع من المستوى اللغوي والفكري لديهم من خلال تحليل المفردات وكذلك يكوّن لديهم مخزون لغوي وفكري غزير .
- إن النص القرآني يجمع موضوعات عدة في مادة واحدة (صرف – نحو – بلاغة –تفسير.. .
- إن النص القرآني المستخدم في تعليم اللغة العربية يؤدي إلى استيعاب القواعد النحوية والصرفية من خلال مفردات القرآن الكريم .
- إن النصوص القرآنية تركزعلى توظيف دوافع التعلم لدى المتعلمين ويُراعى فيها الخلفية الفكرية والثقافية للمتعلم .
- برنامج تعليم اللغة العربية في ايران بوصفها لغة غير اللغة الأم برنامج مخصص لأغراض خاصة (الغرض الديني والثقافي) ويستهدف شريحة كبيرة من المتعلمين، وكونه يوظف النصوص القرآنية في تعليم القواعد النحوية يؤدي إلى الإعانة على فهم هذا العلم وتفوقهم فيها ، إن تفوق التلاميذ في علم النحو يؤدي إلى تفوقهم في سائر علوم اللغة العربية.
- استظهار القواعد النحوية ليست كفيلة بالتفوق في اللغة بل لا بد من الإنتفاع بها وتوظيفها في التعبير.فالقواعد النحوية مجرد أنظمة جامدة لا تكتسب صفة الحياة إلا من خلال الإستعمال.
- من مميزات توظيف النص القرآني لتعليم قواعد اللغة العربية للناطقين بغيرها من المسلمين غير العرب هو أن متعلم هذا النص يقبل باشتياق عليه ولا تضعف همته للدراسة .
- إن النص القرآني يُعدّ جديراً بالإختيار والإعتماد في تعليم القواعد النحوية لأنه أفضل مصدر من مصادر اللغة وذات مستوى أعلى وصلة قريبة بالمتعلمين.

المصادر

- القرآن الكريم.
- ابن جني ، ابو الفتح ، الخصائص ، دارالكتب المصرية ،القاهرة، 1913م.
- ابن السراج، محمد بن ابراهيم، الأصول في النحو،تحقيق عبدالحسين الفتلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ثالثة1417
- الأفغاني ، سعيد، في أصول النحو، ط1، 1987م.
- طعيمة، رشدي أحمد، محمودكامل الناقة، طرائق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها،منشورات ايسسكو، الرباط، 2003م. - طعيمة،رشدي أحمد، تعليم العربية لغير الناطقين بها مناهجه وأساليبه، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، تونس رباط، 1989م.
- طعيمة ، رشدي، المرجع في تعليم اللغة العربية ، جامعة أم القرى.
- العكبري، عبدالله بن الحسين، اللباب في علل البناءوالإعراب، تحقيق غازي مختار طليمات،دمشق دار الفكر المعاصر، 1416ه.
- عمر،أحمدمختار، البحث اللغوي عن العرب،القاهرة، عالم الكتب،ط الخامسة،1985م.
- فرج عبدالقادر طه وآخرون، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، القاهرة، دار الصباح1993م
- فيرديناند دي سوسير ، دروس في الألسنية العامة ، ترجمة صالح القرمادي وآخرون، دار العربية للكتب ، طرابلس ، ط1، 1985م.
تمت مطالعة كتب المراحل الدراسية الإعدادية والثانوية وهي من تأليف وزارة التربية والتعليم الايرانية
- متقي زادة ، عيسى ، وآخرون ، الناشر شركة نشر الكتب الدراسية عام 1391ش و1390ش.
1380ش .